المُعَرَّفُ بأداةِ التعريفِ

قال ابن مالك:

أَلْ حَرْفُ تعريفٍ أو اللاَّمُ فَقَطْ = فَنَمَطٌ عَرَّفْتَ قُلْ فِيهِ

هذا هو القِسْمُ الخامسُ مِن أقسامِ المعارِفِ، وهو: المعرَّفُ بأَلْ.
وهو: اسمٌ يُعَيِّنُ المسمَّى بواسِطَةِ (أَلْ)،ي: إن الاسم يصير معرفة بعد أن كان نكرة بوساطة (أل).
وقد اخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ في حَرْفِ التعريفِ في مِثْلِ :الغلامِ.

– فقالَ الخليلُ بنُ أحمدَ: الْمُعَرِّفُ هو(أَلْ)، والهمزةُ همزةُ قَطْعٍ أصْلِيَّةٌ بدَليلِ فَتْحِها، وُصِلَتْ لكثرةِ الاستعمالِ، وهذا هو الراجحُ؛ لسلامتِه مِن دَعْوَى الزيادةِ في الحرْفِ الذي ليسَ مَحَلاً لها.
– وقالَ سِيبَوَيْهِ: الْمُعَرِّفُ هو اللامُ وحْدَها، والهمزةُ همزةُ وَصْلٍ، فهي زائدةٌ اجْتُلِبَتْ للنُّطْقِ بالساكنِ، فلا مَدْخَلَ لها في التعريفِ.
وهذا معنَى قولِه :(أَلْ حَرْفُ تَعريفٍ ..إلخ)؛ أيْ: أنَّ (أَلِ) للتعريفِ إذا كانَتْ مُرَكَّبَةً مِن الهمزةِ واللامِ معاً، أو أنَّ التعريفَ يكونُ باللامِ وحْدَها، والهمزةُ للوَصْلِ، فإذا أرَدْتَ تعريفَ كَلِمَةِ (نَمَطٍ) التي هي نَكِرَةٌ فقُلْ فيها :النَّمَطُ .والنَّمَطُ :نوعٌ مِن البُسُطِ، وكذا الجماعةُ مِن الناسِ أمْرُهم واحدٌ.

أقسام (أل):

١– للعهدِ: وهي التي تَدْخُلُ على النَّكِرَةِ فتُفِيدُها دَرجةً مِن التعريفِ تَجعَلُ مَدْلُولَها فَرْداً مُعَيَّناً بعدَ أنْ كان مُبْهَماً شائِعاً،كقولِك: (لَقِيتُ رَجُلاً فأَكْرَمْتُ الرجلَ)، وقولِهِ تعالى :{كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ}.

٢– ولاستغراقِ الجنسِ، وهي الداخلةُ على واحدٍ مِن الجنْسِ لإفادةِ الاستغراقِ والشمولِ، وعلامتُها: صِحَّةُ وُقُوعِ (كُلٍّ) مَوْقِعَها، نحوُ :{إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، أي: كل إنسان. وعلامتُها أنْ يَصْلُحَ مَوْضِعَها (كلٌّ).

٣– ولتعريفِ الحقيقةِ، وهي التي تَدخُلُ على لفْظِ الجنْسِ لبيانِ حقيقتِه الذاتيَّةِ القائمةِ في الذهْنِ، دونَ التعرُّضِ لأفرادِه، ولا تَخْلُفُها (كلٌّ)، نحوُ :(الرجلُ خيرٌ مِن (المرأةِ)، أيْ: أنَّ حقيقةَ الرجُلِ وجِنسَه خيرٌ مِن حقيقةِ المرأةِ وجِنْسِها، دونَ النظَرِ إلى الأفرادِ، فقد يُوجَدُ في النساءِ مَن هي خيرٌ مِن بعضِ الرجالِ. و(النمطُ) ضَرْبٌ من البُسُطِ، والجمعُ أنماطٌ، مثلُ سَبَبٍ وأسبابٍ، والنَّمَطُ أيضاً الجماعةُ من الناسِ الذين أَمْرُهُم واحدٌ، كذا قالَه الجَوْهَرِيُّ.

(أل) الزائدة

قال ابن مالك:

وقَدْ تُزَادُ لاَزِماً كَاللاَّتِ = والآنَ والَّذِينَ ثُمَّ اللاتِ
ولاضْطِرَارٍ كَبَنَاتِ الأَوْبَرِ = كذا و(طِبْتَ النَّفْسَ يَا قَيْسُ) السَّرِي

الشرح:

ذَكَرَ المصنِّفُ في هذيْن البيتيْنِ أنَّ الألفَ واللامَ تأتي زائدةً، وهي في زِيادَتِها على قسميْنِ :لازمةٍ وغيرِ لازمةٍ.

النوعُ الثاني مِن أقسامِ (أل) الحرفيَّةِ هو (أل الزائدةُ)، وهي التي لا تُفيدُ الاسمَ تعريفاً، وهي نوعانِ:

١- زائدةٌ لازمةٌ، وهي التي لا تَنْفَكُّ عن الاسمِ، وهي في ثلاثةِ مواضعَ:
الأوَّلُ :هي التي اقترنت باسم معرفة، كبعض الأعلام منذ استعماله علمًا ، نحوُ: الْيَسَعُ مِن أنبياءِ اللَّهِ، قالَ تعالى :{أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى}، فكَلِمَةُ(اللاتِ والعُزَّى) كلٌّ مِنهما عَلَمٌ على صَنَمٍ، و(أل) فيهما لازِمَةٌ.
الثاني :الداخلى على الظرف (الآنَ)؛ كقولِه تعالى :{الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ}، وهو ظرْفُ زمانٍ منصوبٌ بالفَتحةِ، وقد يُجَرُّ بِمِن قليلاً، نحوُ :ابْدَأْ بواجِبِكَ مِن الآنَ.
الثالثُ :بعضُ الموصولاتِ الْمُصَدَّرَةِ بألْ، نحوُ :الذي، والتي، والذين.
وإنما كانَتْ زائدةً في هذه المواضِعِ الثلاثةِ؛ لأنه لا يَجتَمِعُ تعريفانِ على مُعَرَّفٍ واحدٍ، وهذه مَعارِفُ بالعَلَمِيَّةِ والإشارةِ والصِّلَةِ.
٢- والنوعُ الثاني مِن أنواعِ أَلِ الزائدةِ :زائدةٌ غيرُ لازمةٍ، وهي ضَربانِ (نوعان):
أ- ضَرْبٌ اضْطِرَارِيٌّ يَلْجَأُ إليه الشعراءُ عندَ الضرورةِ؛ ليُحَافِظُوا على وزْنِ الشعْرِ وأصولِه؛ كقولِ الشاعرِ:

ولقد جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وعَسَاقِلاً = ولقدْ نَهَيْتُكَ عن بناتِ الأَوْبَرِ

فزادَ الشاعِرُ (أَلْ) في العَلَمِ (بناتِ أَوْبَرَ) مُضْطَرًّا، وهو عَلَمٌ على نوْعٍ مِن الكَمْأَةِ رَديءٌ، وليستْ مُعَرِّفَةً؛ لأنه معرِفَةٌ بالعَلَمِيَّةِ.
وقولِ الآخَرِ:

رأيتُكَ لَمَّا أنْ عَرَفْتَ وُجُوهَنا = صَدَدْتَ وطِبْتَ النفْسَ يا قيسُ عنْ عَمْرِو

فزادَ الشاعرُ (أَلْ) في التمييزِ (النفْسَ) مضْطَرًّا، وليسَتْ مُعَرِّفَةً؛ لأَنَّ التمييزَ لا يكونُ إلاَّ نَكِرَةً عندَ مَن يَرَى ذلك.

وهذا معنى قولِه :(وقد تُزادُ لازِماً ..إلخ)؛ أيْ: قد تُزادُ (أَلِ) الحرفيَّةُ حالَ كونِ الزَّيدِ لازِماً، ثُمَّ أوْرَدَ المواضِعَ الثلاثةَ التي تُزادُ فيها، ثُمَّ ذَكَرَ أنها تُزادُ لاضطرارِ الشاعِرِ إلى زِيادتِها، وأشارَ إلى البيتيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ، وقولُه :(السَّرِي) أي: الشريفُ.

ب- الضرْبُ الثاني مِن الزائدةِ غيرِ اللازمةِ، وهو ضَرْبٌ اختياريٌّ يَلْجَأُ إليه الشاعِرُ وغيرُ الشاعرِ لغَرَضٍ يُريدُ أنْ يُحَقِّقَه، وهو لَمْحُ الأصْلِ.

قال ابن مالك:

وبعضُ الأعلامِ عليهِ دَخَلاَ = لِلَمْحِ ما قدْ كانَ عنهُ نُقِلاَ
كالفضْلِ والحارثِ والنُّعمانِ = فذِكْرُ ذَا وحَذْفُهُ سِيَّانِ

ومعنى: لِلَمْحِ الأصْلِ، هو: أن الأعلام المنقولة لها معانٍ قديمة قبل أن تُنقل وتصير أعلاماً، فمثلاً : (عادل) كانت من قبل صفة، ومن ثمّ صارت ذاتًا (إنسان).
وأكثَرُ ما تَدْخُلُ (ألْ) هذه على الأعلامِ المنقولةِ مِن صِفةٍ؛ كقولِكَ في حارِثٍ :الحارِثُ؛ أيْ: أنه مُسَمًّى بذلك تَفَاؤُلاً بمعناه، وهو أنه يَحْرُثُ ويَعيشُ، وفي منصورٍ :المنصورُ، وفي حَسَنٍ :الحسَنُ، وفي مبارَكٍ :المبارَكُ.
وقد تَدْخُلُ على المنقولِ مِن مَصدَرٍ؛ كقولِكَ في فَضْلٍ: الفَضْلُ.
وعلى المنقولِ مِن اسمِ عَيْنٍ؛ كقولِكَ في نُعمانَ :النُّعمانُ، (وهو في الأصْلِ مِن أسماءِ الدَّمِ).

والحاصل: أن المنقول، حالتين:

١- إذا أَرَدْتَ بالمنقولِ من صفةٍ ونحوِه أنه إنما سُمِّيَ به تفاؤلاً بمعناهُ أَتَيْتَ بالألفِ واللامِ للدَّلالةِ على ذلكَ؛ كقولِكَ : (الحارِثُ) نظراً إلى أنه إنما سُمِّيَ به للتفاؤُلِ، وهو أنه يَعِيشُ ويَحْرُثُ، وكذا كلُّ ما دَلَّ على معنًى وهو ممَّا يُوصَفُ به في الجملةِ، كفَضْلٍ ونحوِه.
٢- وإنْ لم تَنْظُرْ إلى هذا ونَظَرْتَ إلى كونِه عَلَماً لم تُدْخِلِ الألفَ واللامَ، بل تقولُ: فَضْلٌ وحارِثٌ ونُعْمانُ، فدخولُ الألفِ واللامِ أفادَ معنًى لا يُسْتَفَادُ بِدُونِهِما.
والمعنى: إن دخول الألف واللام على مثل هذه الأعلام، هو للمح الأصل، أي: لذكر صفة قديمة فيها.
وأن عدم دخول الألف واللام عليها، يفيد أنها أسماء أعلام، واسم العلم لا يحتاج إلى تعريف؛ فهو معرف بنفسه.

وقال ابن مالك:

وقدْ يَصِيرُ عَلَماً بِالْغَلَبَهْ = مُضَافٌ اوْ مَصْحُوبُ أَلْ كَالْعَقَبَهْ

وحَذْفَ أَلْ ذِي إِنْ تُنَادِ أَوْ تُضِفْ = أَوْجِبْ وَفِي غَيْرِهِمَا قَدْ تَنْحَذِفْ

الشرح:

مِن أقسامِ الألفِ واللامِ أنها تكونُ للغَلَبَةِ، نحوُ: (المدينةِ) و(الكِتابِ)، فإنَّ حَقَّهُما الصدقُ على كلِّ مدينةٍ وكلِّ كتابٍ، لكِنْ غَلَبَتِ (المدينةُ) على مدينةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و(الكتابُ) على كِتابِ سِيبَوَيْهِ رَحِمَه اللهُ تعالى، حتى إنهما إذا أُطْلِقَا لم يَتَبَادَرْ إلى الفَهمِ غَيْرُهما.

وحُكْمُ هذه الألفِ واللامِ أنها لا تُحْذَفُ إلاَّ في النداءِ أو الإضافةِ، نحوُ :(يا صَعِقُ (في الصَّعِق)، و(هذه مدينةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وقد تُحْذَفُ في غَيْرِهما شُذوذاً؛ سُمِعَ مِن كلامِهم (هذا عَيُّوقُ طَالِعاً)، والأصلُ العَيُّوقُ، (وهو اسمُ نَجْمٍ).

وقد يكونُ العَلَمُ بالغَلَبَةِ أيضاً مُضافاً، كابنِ عُمَرَ، وابنِ عَبَّاسٍ، وابنِ مَسْعُودٍ، فإنَّه غَلَبَ على العَبَادِلَةِ دونَ غَيْرِهِم مِن أولادِهِم، وإنْ كانَ حَقُّه الصدقَ عليهم، لكِنْ غَلَبَ على هؤلاءِ حتَّى إنه إذا أُطْلِقَ(ابنُ عُمَرَ)لا يُفْهَمُ منه غيرُ عبدِ اللهِ، وكذا (ابنُ عَبَّاسٍ) و(ابنُ مسعودٍ)رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ، وهذه الإضافةُ لا تُفَارِقُه لا في نداءٍ ولا في غيرِه، نحوُ : (يا بنَ عُمَرَ).